ملخص المجلس رقم (١٢)
من الصفحة ٤١٩ - ٤٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٤٣/١/٢٥هـ

النوع الحادي والعشرون: (بلاغة القرآن - معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح)

النوع الثاني والعشرون: (معرفة القراءات - معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغييرحركة أو إثبات لفظ بدل آخر)

النوع الحادي والعشرون: (بلاغة القرآن - معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح)

- التصنيف: يؤخذ من علم البيان والبديع، وأجمع التصنيفات: مجلدين قدمهما الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب أمام تفسيره، ومنهاج البلغاء للأندلسي.
- أهميته: يقول الزركشي في معرفة هذه الصناعة بأوضاعها بأنه:

عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله وهي **قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة**، و **أعظم أركان المفسر** فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز وتأليف النظم وأن يواخي بين الموارد ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر وغير ذلك.

- أبرز من برعوا في البلاغة: أملأ الناس بهذا العلم: **صاحب الكشاف.**
- الإعجاز والبلاغة:

قال السكاكي: " واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ولا طريق إلى تحصيله لذوي **الفطر السليمة إلا إتقان علمي المعاني والبيان والتمرن فيهما".**

قال الزمخشري: "من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه: بقاء النظم على حسنه - والبلاغة على كمالها - وما وقع به التحدي سليماً من القادح - وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو مِنَ تعاهد النظم والبلاغة على مراحل".

سؤال: كيف عُدَّ هذا العلم من أنواع علوم القرآن مع أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيه ولم ينقل عنهم شيء من ذلك وإنما هذا أحدثه المتأخرون؟

رد الإمام الزركشي:

"إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن **تعليم الحلال والحرام وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان** ولم يقصد منه تعليم طرق الفصاحة وإنما جاءت **لتكون معجزة** وما قصد به الإعجاز لا سبيل إلى معرفة طريقه، فلم يكن الخوض فيه مسوغاً إذ البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً لأنه موجود في الصحف الأولى لامع هذه البلاغة المعينة، وإنما كان بليغاً بحسب كمال المتكلم فلهذا لم يتكلم السلف في ذلك وكان **معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان** بخلاف استنباط الأحكام فلهذا تكلموا في أحكامه دون فصاحته".

البيان في القرآن ومعانيه:

- ذكر البيان في القرآن: قال المصنف: لو لم يجب الفصاحة إلا قوله {الرحمن علم القرآن خلق الأنسان علمه البيان} لكفى.
- فضل البيان بين النعم : منه تعالى جمَّةٌ، ولم يخصص من نعمه على العبد إلا تعليم البيان {هذا بيان للناس}،{تبيانا لكل شيء}.
- نكتة حذف الواو في: {علمه البيان}: جعل تعليم البيان في وزان خلقه وكالبدل من قوله: {خلق الإنسان} لأنه حي ناطق.
- هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ليتمكن بها من اتباع التصديق به وإذعان النفس له.
- صور معاني البيان القرآني:

١. **تحقيق العقائد الإلهية** كقوله سبحانه: {أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى} بعد ذكره النطفة ومتعلقها في مراتب الوجود.
٢. **الكلام المعجز يقرع السمع** كقوله: {وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه}.
٣. **بيان الحق فيما يشكل من الأمور غير العقائد** كقوله تعالى: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله}.
٤. **تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس** مثل: الاستعطاف والإعراض والإرضاء والإغضاب والتشجيع والتخويف.

٥. **استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل وزيادة تفهم** قال تعالى: {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا} وكذلك قوله: {وما يعقلها إلا العالمون} وسر هذا أن السامع يحرص على الدخول مع المثنى عليهم فيسارع إلى التصديق ويلقى في نفسه نور من التوفيق.

أمثلته:

- الضمير ويسمى التمثيل[1]: {إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا}.
- الاستمالة والاستعطاف قوله تعالى عن آدم: {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين}.
- الإغضاب العجيب قوله تعالى: {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا}.
- من قسم التشجيع قوله: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص} وكفى بحب الله مشجعاً على منازلة الأقران ومباشرة الطعان ومثل قوله: {إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين}.
- ما يراد به الأخذ بالحزم: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} و بالحرب والاستظهار عليها بالعدة {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}.
- الإبانة بالمدح وربما مدح الكريم بالتغافل عن الزلة والتهاون بالذنب فأخبر سبحانه: "عرف بعضه وأعرض عن بعض".
- التمثيل كما في القرآن من قصص الأشقياء تحذيراً لما نزل بهم من العذاب وأخبار السعداء ترغيباً لما صاروا إليه من الثواب.
- أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار.

تنبيه: ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز.

[1]) أن يضمر بالقول المجادل به البيان أحد حرفيه.

النوع الثاني والعشرون: (معرفة القراءات - اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغييرحركة أو إثبات لفظ بدل آخر)

- طريقة الثبوت: متواتر وآحاد، وهذا الوجه من علم القراءة.
- التصنيف: في القراءات السبع كتاب **التيسير للداني** ونظمه **الشاطبي في لاميته** وكتاب **الإقناع لأبي جعفر**، وفي العشر: **المصباح.**
- القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان:

القرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها.

- أمور في كيفيات القراءات:

الأول: القراءات السبع متواترة عند الجمهور وقيل بل مشهورة، فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات وهي نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم.

الثاني: استثنى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب قول الزركشي " إن القراءات السبع متواترة" ما ليس من قبيل الأداء".

مثّله بالمد والإمالة وتخفيف الهمزة أي أنها ليست متواترة **وهذا ضعيف** والحق أن المد والإمالة **لا شك في تواتر المشترك بينهما وهو المد من حيث هو مد والإمالة من حيث إنها إمالة** ولكن اختلف القراء في تقدير المد فمنهم:

١. حمزة وورش بمقدار ست لغات وقيل خمس وقيل أربع.
٢. عاصم ثلاث.
٣. الكسائي ألفان ونصف.
٤. قالون ألفان والسوسي ألف ونصف.

الإمالة قسمان:

١. إمالة محضة وهي أن ينحى بالألف إلى الياء وتكون الياء أقرب بالفتحة إلى الكسر وتكون الكسرة أقرب.
٢. إمالة تسمى بين بين وهي كذلك إلا أن الألف والفتحة أقرب وهذه أصعب الإمالتين وهي المختارة عند الأئمة.

أما تخفيف الهمزة وهو الذي يطلق عليه تخفيف وتليين وتسهيل أسماء مترادفة فإنه يشمل أربعة أنواع من التخفيف وكل منها متواتر:

١. **النقل** وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، {قد أفلح} بنقل حركة الهمزة وهي الفتحة إلى دال قد وتسقط الهمزة فيبقى اللفظ بدال مفتوحة بعدها فاء وهذا النقل قراءة نافع من طريق ورش في حال الوصل والوقف وقراءة حمزة في حال الوقف.

٢. أن **تبدل الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها** إن كان قبلها فتحة أبدلت ألفها نحو "باس" وهذا البدل قراءة أبي عمرو بن العلاء ونافع من طريق ورش في فاء الفعل وحمزة إذا وقف على ذلك.

٣. **تخفيف الهمز بين بين** ومعناه أن تسهل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو أو مفتوحة فبين الهمزة والألف أو مكسورة فبين الهمزة والياء وهذا يسمى إشماما: {قل آلذكرين}.

٤. **تخفيف الإسقاط** وهو أن تسقط الهمزة رأساً وقد قرأ به أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة فأسقط الأولى منهما على رأي الشاطبي وقيل الثانية في نحو: {جاء أجلهم}.

الثالث: القراءات توقيفية وليست اختيارية خلافاً لجماعة منهم الزمخشري ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء.

الرابع: ما تضمنه التيسير والشاطبية قال الشيخ أثير الدين أبو حيان لم يحويا جميع القراءات السبع وإنما هي نزر يسير منها.

الخامس: أن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ولهذا بنى الفقهاء:

١. نقض وضوء الملموس وعدمه على اختلاف القراءات في {لمستم} و {لامستم}.

٢. جواز وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الغسل على اختلافهم في: {حتى يطهرن}.

السادس: القراءات لم تكن متميزة عن غيرها إلا في قرن ٤٠٠ جمعها **أبو بكر ابن مجاهد** والمراد بالقراءات السبع عن الأئمة السبعة:

عبد الله بن كثير المكي القرشي - نافع بن عبد الرحمن - عبد الله بن عامر - أبو عمرو بن العلاء - عاصم بن أبي النجود - حمزة بن حبيب - الكسائي علي بن حمزة الأسدي وإنما ألحق بالسبعة في أيام المأمون يعقوب الحضرمي.

لماذا عدد القراء سبعة؟؟ قال مكي: وإنما كانوا سبعة لوجهين:

أحدهما: أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ووجه بها إلى الأمصار فجعل عدد القراء على عدد المصاحف.

الثاني: أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمتنع ذلك إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى.

السبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم:

لما كتب عثمان رضي الله عنه المصاحف ووجهها إلى الأمصار وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيري العدد فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف فنظروا إلى إمام مشهور (بالفقه والأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم قد طال عمره واشتهر أمره وأجمع أهل مصر على عدالته) فأفردوا لكل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً إماماً صفة قراءته على مصحف مصرهم.

فكان:-

أول من اقتصر على هؤلاء السبعة: أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة وتابعه الناس وألحق المحققون منهم البغوي بهؤلاء السبعة قراءة ثلاثة وهم **يعقوب الحضرمي** و **خلف** و **أبو جعفر المدني** لأنها لا تخالف رسم السبع.

الأحرف السبعة والقراءات السبعة:

أولاً: لا يتوهم أن قوله ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" انصرافه إلى قراءة سبعة لأن:

١. القراء ولدوا من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة!!
٢. يؤدي إلى أن يكون الخبر متعرياً عن فائدة إلى أن يحدثوا.
٣. يؤدي إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرءوا إلا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه.

ثانياً: القراءات الصحيحة الثابتة مِن الأحرف السبع، قال الشيخ موفق الدين الكواشي: "كل ما **صح سنده** واستقام مع **جهة العربية** وافق لفظه **خط المصحف الإمام** فهو من السبع المنصوص عليها ولو رواه سبعون ألفا مجتمعين أو متفرقين فعلى هذا الأصل ينبني من يقول القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة ولا يقرأ بشيء من الشواذ وإنما يذكر ما يذكر من الشواذ ليكون دليلا على حسب المدلول عليه أو مرجحاً".

شروط القراءة الصحيحة:

١. ما تواتر نقله عن رسول الله ﷺ قرآناً واستفاض نقله بذلك.
٢. قوة وجه العربية.
٣. موافقته للمصحف.
٤. تلقته الأمة بالقبول (كالقراءات السبع لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع).

معنى اجتماع العامة على قبول القراءة يعني:

- هو ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة.
- ربما جعلوا ما اجتمع عليه أهل الحرمين.
- ربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم فقراءتهما أولى القراءات وأصحها سنداً وأفصحها في لغة ويتلوها أبي عمرو والكسائي.

القراءة الشاذة: إن اختل أحد هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة.

حكم القراءة بالقراءة الشاذة: يذكر شيخ الشافعية شروط المقروء به ويقول عن الإخلال فيها:

"...فممنوع من القراءة به **منع تحريم** لا منع كراهة في الصلاة وخارج الصلاة وممنوع منه ممن عرف المصادر والمعاني ومن لم يعرف ذلك".

تأديب وتعزير من يقرأ بالشاذ من القراءات:

قال شيخ المالكية رحمه الله: " لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها عالما بالعربية كان أو جاهلا وإذا قرأها قارئ فإن كان جاهلا بالتحريم عرف به وأمر بتركها وإن كان عالما أدب بشرطه وإن أصر على ذلك أدب على إصراره وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك وأما تبديل آتينا بأعطينا وسولت بزينت ونحوه فليس هذا من الشواذ وهو أشد تحريما والتأديب عليه أبلغ والمنع منه أوجب".

السابع: أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى سبعة أوجه:

١. الأول: الاختلاف في **إعراب الكلمة أو في حركات بقائها بما لا يزيلها عن صورتها في** الكتاب ولا يغير معناها نحو {البُخل} و {البَخَل} ، {ميسَرَة} و {ميسُرة} ، {وما هن أُمَّهاتِهِم} { أُمَّهاتُهم} ، {وهن أطهَرُ لكم} و {أطهَرَ لكم} ، {وهل نجازي إلا الكفور} {وهل يجازى إلا الكفورُ}

٢. الثاني: الاختلاف في إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الخط نحو {ربَّنا باعِد بين أسفارنا} و {ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا} و {إذ تلقونه} و {تلقونه} ، {وادكر بعد أمة} و {بعد أمة} وهو كثير يقرأ به لما صحت روايته ووافق العربية.

٣. الثالث: الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يغير صورة الخط بها في رأي العين نحو {كيف ننشزها} و {ننشرها} و {فُزع عن قلوبهم} و {فَزع عن قلوبهم} و {يقص الحق} و {يقضي الحق} وهو كثير يقرأ به إذا صح سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط في رأي العين.

٤. الرابع: الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو: {إن كانت إلا صيحة واحدة} و {إلا زقية واحدة} و {كالعهن المنفوش} و {كالصوف المنقوش} فهذا يقبل إذا صحت روايته ولا يقرأ به اليوم لمخالفته لخط المصحف ولأنه ثبت عن آحاد.

٥. الخامس: الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها في الخط ويزيل معناها نحو {الم تنزيل الكتاب} في موضع و{الم ذلك الكتاب} و {طلح منضود} و {طلع منضود} فهذا لا يقرأ به أيضا لمخالفته الخط ويقبل منه ما لم يكن فيه تضاد لما عليه المصحف.

٦. السادس: الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ عند الموت {وجاءت سكرة الحق بالموت} وبهذا قرأ ابن مسعود فهذا يقبل لصحة معناه إذا صحت روايته ولا يقرأ به لمخالفته المصحف ولأنه غير واحد.

٧. السابع: الاختلاف بالزيادة والنقص في الحروف والكلم نحو: {وما عملته أيديهم} {وما عملت} و {نعجة أنثى} ونظائره فهذا يقبل منه ما لم يحدث حكما لم يقله أحد ويقرأ منه ما اتفقت عليه المصاحف في إثباته وحذفه نحو {تجري تحتها} في براءة عند رأس المائة و {من تحتها} و {فإن الله هو الغني الحميد} في الحديد و {فإن الله الغني} ونحو ذلك.

الثامن: قال أبو عبيد في فضائل القرآن "إن القصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها" وذلك في:

١. قراءة عائشة وحفصة "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" صلاة العصر
٢. قراءة ابن مسعود والسارق والسارقة **فاقطعوا أيمانهما** ومثل قراءة أبي {للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا} فيهن.
٣. كقراءة سعد بن أبي وقاص: {وإن كان له أخ أو أخت من أم فلكل. . .}.
٤. قرأ ابن عباس {لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج}.
٥. قراءة جابر: "فإن الله من بعد إكراههن له غفور رحيم.".

فائدة القراءة الشاذة

هذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير و عن كبار الصحابة.

أدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله.

فائدة

قيل قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبي وقراءة ابن عامر إلى عثمان وقراءة عاصم وحمزة والكسائي إلى عثمان وعلي وابن مسعود.

قال ابن مجاهد إذا شك القارئ في حرف هل هو ممدود أو مقصور فليقرأ **بالقصر** وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور فليقرأ **بالفتح** لأن الأول غير لحن في بعض المواضع.